

دراسات في الأدب الانكليزي

جون ملتون

للأستاذ خليل جمعة الطوال

تابع مانشر في العدد الماضي

—>>>><<<<—

على أن كرموبل ما لبث أن توفي ، فكان مونه زلزلاً عنيفاً قوض دعائم ذلك الدستور الذي شاد بيده الحديدية بنيانه ؛ وزاد في الطين بلة ضف خلفائه السياسي ، فعادت الملكية إلى مكاتها السابقة ، وكان طبيعياً أن تنفقم من البرلانيين ، وتثار منهم لعرشها المنصوب وعزها السلوب . أما ملتون فقد أدرك ما للملكيين عنده من الشار الجسيم ، وذلك لما نالهم منه من الطعن والامتهان والذرية ، فأوجس خيفة من شرهم وانتقامهم ، فتوارى عن عيونهم مدة من الزمن تجنباً لكيدهم ؛ إلا أن هؤلاء بثوا ورايه الميون والأرصاد ، فتمكنوا من القبض عليه ، وزجوه في غياهب السجن وغرموه غرامات مالية فادحة ؛ ثم سبق للحكاكة ، وقد كاد يحكم عليه بالإعدام لو لم يدافع عنه أمام المحكمة أشهر رجال المحاماة في ذلك العصر

وفي عام ١٦٦٢ م اعتزل ملتون السياسة ، إذ فقد بصره وأصبح غير قادر على الاتصال الفعلي بالهيئة البشرية الاجتماعية ، والاشراف على أحداثها السياسية والدينية والاجتماعية ، وقصر وقته لذلك على الدرس والاجتهاد ، وأكب على التأليف حتى نبه صيته في جميع الأوساط الأدبية كشاعر فذ وكاتب بليغ ، ومع اعتزال ملتون الفعلي للأمور السياسية فقد ظل يهز الرأي العام بكتاباته وشخصيته. الفينة بعد الأخرى ، وهو وفيد وحده ، ووحيد عزله . وما هي إلا ثلاث سنوات قضاها في عقر بيته منعزلاً عن المجتمع حتى أخرج للعالم ملحمة الشهيرة المروفة بالفردوس المفقود وهي أعظم سفر أدبي في سجل الأدب الانكليزي ؛ وقد لانجد لها حتى اليوم مثيلاً إلا بالرجوع إلى الملاحم العالمية السبع^(١)

(١) هذه هي الملاحم العالمية الثمانية كما أعدها الأستاذ W. H. Stephens

- (1) Iliad (2) Odyssey (3) Aeneid
(4) Niebelungen (5) Lied (6) Divine comedy
(7) Jerusalem Delivred (8) Paradise last

على أن الرافي كان له إحساس عجيب في مجالس النساء ، وكان لمن عليه سلطان وله صحر وفتنة . وهو في هذه المجالس فكه مداعب رائق التكتة لا تملك السيدة الرزان في مجلسه إلا أن تخرج عن وقارها ؛ وكانت هذه أداته في استمالهن حين يلتمس الوحى أو يجد الحاجة إلى أن يقرأ شعراً في عين ساحرة . فإذا استوى له ما أراد عاد إلى مكتبه لينشى ، وينظم وتنتهي قصة حب وكان يسمى كل جملة (شاعرة) لأنها هي تمنحه الشعر ، و (الشواعر) عنده طبقات ، على مقدار ما يبعث فيه من الشعرية ويرهفن من إحساسه ؛ ففلاة شاعرة كالنبي ، وهذه كالبحتري ، وتلك بنت الروي ، ورايعة بشار بن برد ، وخامسة عبدالله عفيفي أو شاعر الرعاع ... !

و حين يجلس في شرفة قهوة (لنوس) بطنطا وتمر به الجليات في رياضتهن أو في حاجتهن ، تسمع ثباتاً حافلاً بأسماء الشعراء يبدأ من مهلهل بن ربيعة وينتهي بفلان الذي يؤمل أن يكون أمير الشعراء بعد أن يموت كل الشعراء ... !

هذه لمحات أذكرها على غير صلتها بالموضوع لأنها تشير إلى بعض عناصره ؛ على أنني وقد بلغت هذا القدر من الحديث لم أبدأ القول بعد عن حب الرافي التي حاولت هذا المقال لأتحدث عنه إنها حادثة وقعت في تاريخ الرافي وسنة ثلاث وأربعون سنة فأنشأه خلقاً جديداً ، كانت دهاية من مثل ما قدّمت فأوشكت أن تكون علة ، فلما اختار الله له أتقده بكبريائه من دائه ، ولكنه خلف في قلبه جرحاً يدعى ، ولكنها كانت بركة في الأدب وثروة في العربية

من تكون هذه الشاعرة التي غلبته على إرادته فغلبها بكبريائه ؟ ما شأنها وما خبرها ؟ هذا موضوع حديثي في العدد القادم

محمد سعيد المرابط

العدد ١٨٣

أعدنا طبع العدد ١٨٣ من الرسالة ، فمن لم يكن عنده من حضرات الشريكين فليفضل بطلبه من الإدارة

الفردوس المفقود

فطنته ، وطاعة ذهنه ، وتوثب شاعريته ، ولذا فلا عجب إذا رشخت دراساته للدين ، وتغلغله في ثناياها بمثل ملحمة « الفردوس المفقود » التي اختلف الأدباء على تقديرها ، وانقسموا إزاء تعجيبها شأن انقسامهم إزاء كل أمر خطير ، إذ كانوا في ذلك بين منتقص ذي هوى لم يسلم من الغلو والاسراف ، ومطنب في الدبح لم يسلم من التحذلق والإغراق ؛ وليس أدل على هذا من هذه الفقرات الموجزة التي تثبتنا فيما نرى بإسنادها إلى أصحابها تاركين للقارى حريته في تمييز غشها من سمينها

رأى هونسور

لقد مهد جونسون رأيه في ملتون بما قرره « بوسو » عن الشاعر المجيد إذ يقول : « الشاعر القذ المجيد هو الذي ينظم قصيدته وينشرها لغاية سامية بنشدها ومثل عليا بتطلبها ، وتكون الحقيقة فيها هي بيت القصيد بل أسها الذي تهوم عليه ؛ وما الخيال بجانبها إلا أداة طيعة يعهد بتلقيقه سبيل الوصول إلى غايته النشودة ومثله العليا المقصودة » ، ثم جعل من هذه الفقرة الموجزة دستوراً للنقد ومحكاً للشعر يعرف بها غثُ القصائد من سمينها — ولو إلى حد — وأخيراً قال : لقد ألف ملتون ملحمة الفردوس المفقود لمجد للدين سبيله الوعرة التي ضلت فيها عديد البطانات وليدخرج من هذه السبل تلك الصخرة الناشرة التي تحطمت عليها مختلف العقائد ، وتنكرت أمامها أكثر الحقائق ؛ ولعله لم يكن له من غاية أخرى سوى نظم الحقائق الدينية ، ونقلها إلى الغير عن طريق القلب لا العقل ، وبصورة لا أثر فيها ألبتة لالتواء اللاهوت وإبهامه ، ولتصنيف النطق واحتمال تأويلاته ، ولكنه لم يوفق إلى ذلك ، إذ جعله الخيال حتى أخرجه عن دائرة الحقيقة ، وشردت به الشاعرية المتوثبة حتى أبعدته عن منطقة العقول ؛ فجميع أغراضه متكررة كأنها لغز ضامض ، وتعايره ملتوية كأنه يقول شيئاً ويريد غيره ، وصوره شائبة حتى لكأنها من تلفيق الخيال المحض الذي لا حقيقة له في الوجود . وبالجملة فإنه ليس فيها من أثر لما يريد خلا ما كان من بعض القوافي المقفولة المصطنعة ، والألفاظ المزركشة الآبدة ، والتاثير المستعصية الفاضلة ، التي يند عنها الطبع وينشر منها التدوق

انقد أجمت الآراء على أن ملحمة الفردوس المفقود في الأدب الانكليزي كالألياذة في الأدب اليوناني والكوميديا الالهية في الأدب الايطالي ، وأنها في شهرتها الواسعة هي الثالثة لهاتين اللحمتين العالميتين . ولئن وجد فيها بعض التحذلقين من نقدة الأدب مجسماً لمشارطهم ومنغماً لمباضمهم ، إلا أن ذلك لا يمنع الأديب المنصف من أن يرى فيها للأدب الانكليزي تعويضاً عادلاً لركوده وتغلب الموجة السياسية عليه في عهد الإحياء (New Birth)

لم ينظم ملتون هذه الملحمة الشهورة دفعة واحدة ، ومن المؤكد أنه ابتدأ نظمها بمد أن اعتزل السياسة ، وبمد أن قد بصره . ولقد أمل أبحاثها على أكثر من كاتب واحد ، يدل على ذلك نسخها الخطية الأصلية التي لا تزال محفوظة في مكتبة « كلية ترنتي » في « كبريدج » . وقد طبعت لأول مرة عام ١٦٦٧ في عشرة أجزاء ، ثم تحقت وزيد عليها جزءان آخران ، وطبعت للمرة الثانية في اثني عشر جزءاً وذلك عام ١٦٧٤ . أما موضوعها فقد استمدته من الكتاب المقدس ، وأوحى إليه بمادتها الجزلة ذلك النزاع الخطير الذي قام في إنكلترا من اصطدام المبادئ الديمقراطية التي ترمي إلى رفع لواء حرية الشعب الدينية والسياسية بالمبادئ الملكية الأرستقراطية التي غايتها جعل شئون الأمة وحريتها في أيدي الملوك كالألة الصماء يدبرونها في هوموم وعبثهم أنى شادت لهم أنانيتهم وكيفما رغبت أهواؤهم . وإذ كان لابداً للأدب الحى من أن يصور المجتمع في سلمه وحرية ، وبجاري الزمن في تقبله وتطوره ، فقد صور ملتون ذلك النزاع الخطير الذي خاض غماره في ملحمة هذه تصويراً دقيقاً لا مزيد عليه

لقد كان الدين إذ ذاك مشتجر الآراء ، ومصطرع البطانات ، ومحور الخلاف بينها ؛ وكان لا بد لمن أراد أن يكون مبرزاً في هذا الميدان الديني من أن يكون ملماً بجميع النصوص الدينية ، ولذلك أقبل الأدباء على الكتاب المقدس يتدارسونه وعلى الإنجيل يتدبرونه ، طمعا في الشهرة والفوز ؛ وقد كان ملتون أبعدهم في ذلك غوراً وأكثرهم في الدرس مطالعة واجتهاداً يحفزهم عليه سُماره للشهرة ، وجهه للجاه ، وطموحه للسمو والمجد ؛ ناهيك بتوقد

رأى ما كولى

تنعكس عنها مرئيات يئته . كان ملتون مشغولاً بالدرس والمطالعة ،
بينما كان شكشير لا يجد اللذة والراحة إلا في مطاوي الطبيعة
ومناجاة أسرارها ومحاكاة مرئياتها . ذلك — أى ملتون — يمثل
بأشعاره قوة العقل وسلطان الإرادة ، وهذا يمثل حرارة العاطفة
وسلطان القلب

على أنه ليس في هذا ما يمتنعنا من أن ننظر إلى ملحمة الفردوس
المفقود نظرنا إلى الإلياذة والأوديسة — أو القدس المحررة —
لتاجور ؛ ذلك لأنها وإن كانت تنسم بقوة العقل وجبروته إلا أن
فيها من حرارة العاطفة ما يثبت له القلب ، ويصلح له الصدر .
ولئن دقت تعابيره ، والتوت أغراضه ، وسما أسلوبه في بعض
المواضع ، فإذ ذلك إلا لسمو الفكرة التي يصورها ودقة التعبير عنها
ولأنه يخاطب بأشعاره الخاصة لا العامة

لم يتقيد ملتون في ملحمة « الفردوس المفقود » بالترام قافية
واحدة ، وليس ذلك لمعجزه وضمغه ، فقد كانت القوافي أطوع
لخاطره من بنانه ، كيف لا وهو أعلم بأوايد اللغة وشواردها ؟
ولكن لأنه رأى في القافية قيداً للعاطفة يجب التحرر منه
(البقية في العدد القادم)
هليل جمعة الطوال

الفرق بين أشعار ملتون ودانتى كالفرق بين الكتابة
المهيوغليغية المصرية والكتابة التصويرية الكسيكية ؛ فبينما
يصور الثانى إحساساته صورة لفظية كاملة ، وينفض عليك عواطفه
كما جاشت في صدره واعتلجت في قلبه ، إذ بالأول لا يزيد في وصفه
على الإشارة الغامضة ، ولا في تصويره عن الصورة المهمة للشيء .
— أى السودة — ذلك يصف الأشياء بمجزيئاتها ، وهذا يحيطها
بستر كثيف من التورية البعيدة ، والاستعارة الدقيقة ، التي
لا تظهر معها إلا بعد إعمال الفكر وكدر الخاطر . وأكاد أجزم
جزم اليقين أن ليس بين الأدباء من قرأ ملحمة الفردوس المفقود
فعلقت شجنتها بشغاف قلبه ، أو هزت نبراتها وترأ من أوتار حسه .
وعندى أنها ليست في الشعر إلا كالأحاجى في اللغة ، ولولا ثوب
الشهرة الفضفاض الذى يضيفه الأدباء على ملتون في غير استحقاق
لكانت ملحمة هذه صغراً على هامش الأدب ؟؟

رأى هزلت

لقد كان شكشير يعنى بتفقد المجتمع وسوءاته أكثر من
اعتنائه بتفقد الديانات وطوائفها ، وكان أيضاً ينظم الشعر بدافع
الفطرة الشعرية الكامنة في نفسه لا بحافز الشهرة الدانية ، ولهذا
كان متياراً لتلون كل المغايرة ؛ وذلك لأن ملتون كان مصاباً بسعار
الشهرة ، وشديد التمسك والتعصب لمبادئه الطهرية الدينية . لقد
كان كلاهما شاعراً فذاً ، إلا أنه بينما يسير الأول — شكشير —
وراء خياله وعاطفته ، إذ بالثانى — ملتون — يُسِيرُ خياله
وعاطفته وفق إرادته ؛ فعاطفة الأول هي التي تدفعه إلى قرض
الشعر ، بينما إرادة الثانى هي التي تستكره خياله على النظم ؛ ذلك
تنسم أشعاره بعفو الخاطر وبداهة الفطرة وتوقد العاطفة ، وهذا
تنسم قصائده بجهد الفكر ، وغزاهزة المعرفة ، ومسحة العقل ،
وتصنع الخيال ، وبرود العاطفة ؛ ذلك تنسم أشعاره بحرارة القلب
الملتبية ، وهذا بفرارة العقل الرائمة

لقد كان ملتون محباً للوحدة ، على حين كان شكشير مفرماً
بالمجتمعات الزحمة ، ولنا فبينما يصور الأول — على العموم —
نفسه بأشعاره ، إذ بأشعار الثانى صورة جلية لمحيطة ، ومراة مجلوة

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرانات طاغور

ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الإسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

نمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك
أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بمناوئه :
١٨ شارع الإيعادية بمحرم بك بالإسكندرية